بسم الله الرحمن الرحيم خطبةالجمعة 08-01-10

ونبلوكم بالشروالخيرفتنة

أيها المسلمون : إن من سنن الله - تبارك وتعالى - في هذا الكون التي لا تتغير ولا تتبدل سنة الابتلاء في هذه الحياة, يبتلى الإنسان في هذه الحياة الدنيا تارة بالخير، وتارة بالشر قال الله - تبارك وتعالى -: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}الانبياء-35-قال ابن كثير - رحمه الله - أي: نختبركم بالمصائب تارة، وبالنعم أخرى؛ لننظر من يشكر ومن يكفر، ومن يصبر ومن يقنط كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس - رضي الله عنه -: {وَنَبْلُوكُم} يقول: نبتليكم بالشر والخير فتنة، بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال" وقد يبتلي الله - تبارك وتعالى - الإنسان بشيء ظاهره الشر لكنه في حقيقته خير كثير, وقد يكون عكس ذلك تماماً قال - تعالى -: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}البقرة-216- قال ابن سعدي - رحمه الله - في تفسير الآية: "هذه الآية فيها فرض القتال في سبيل الله بعدما كان المؤمنون مأمورين بتركه لضعفهم، وعدم احتمالهم لذلك، فلما هاجر النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة، وكثر المسلمون، وقووا؛ أمرهم الله - تعالى - بالقتال، وأخبر أنه مكروه للنفوس، لما فيه من التعب والمشقة، وحصول أنواع المخاوف، والتعرض للمتآلف، ومع هذا فهو خير محض لما فيه من الثواب العظيم، والتحرز من العقاب الأليم، والنصر على الأعداء، والظفر بالغنائم؛ وغير ذلك مما هو مرب على ما فيه من الكراهة {وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ} وذلك مثل القعود عن الجهاد لطلب الراحة فإنه شر لأنه يعقب الخذلان، وتسلط الأعداء على الإسلام وأهله، وحصول الذل والهوان، وفوات الأجر العظيم، وحصول العقاب, وهذه الآيات عامة مطردة في أن أفعال الخير التي تكرهها النفوس لما فيها من المشقة أنها خير بلا شك، وأن أفعال الشر التي تحب النفوس لما تتوهمه فيها من الراحة واللذة فهي شر بلا شك, وأما أحوال الدنيا فليس الأمر مطرداً، ولكن الغالب على العبد المؤمن أنه إذا أحب أمراً من الأمور؛ فقيض الله له من الأسباب ما يصرفه عنه؛ أنه خير له، فالأوفق له في ذلك أن يشكر الله، ويجعل الخير في الواقع، لأنه يعلم أن الله - تعالى - أرحم بالعبد من نفسه، وأقدر على مصلحة عبده وأعلم بمصلحته منه كما قال - تعالى -: {وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}، فاللائق بكم أن تتمشوا مع أقداره سواء سرتكم أو ساءتكم"

أيّها المسلِمون : عندَما ينزِل البلاء، وتُحلّ المحن، وتدلهم الخطوب، وتعم الرزايا؛ تضطرِب أفهامُ فريقٍ من الناس، وتلتاث عقولهم، وتطيش أحلامهم، فإذا بِهم يذهَلون عن كثيرٍ من الحقّ الذي يعلمون، وينسَون من الصّواب ما لا يجهلون، وهنالك تقَع الحيرة، ويثور الشكّ، وتروج سوقُ الأقاويل، وتهجَر الحقائق والأصول، وتُتَّبع الظّنون،

وما تهوى الأنفس، ويُحكَم على الأمور بغير علمٍ، ولا هدىً، ولا كتاب منير، وفي معامِع الغفلةِ ينسى المـــرءُ أنَّ سنةَ الله في الابتلاء ماضيةٌ في خلقه، وأنَّ قضاءه بها نافذ فيهم، وكيفَ ينسى ذلك وهو يَتلو كتاب ربِّه - تبـــارك وتعالى - بالغداة والعشيّ، وفيه بيانُ هذه الحقيقة بجلاءٍ لا خفاءَ فيه، ووضوحٍ لا مزيد عليه، حيث قال - سبحانه -: {الـــم * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُواْ أَن يَقُولُوٓاْ ءامَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّـــهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ}العنكبوت-1-3-، وقال - عزّ وجلّ -: {لَتُبْلَـــوُنَّ فِـــى أَمْـــوٰلِكُمْ وَأَنفُســـكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـــٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذٰلِكَ مِـــنْ عَزْمِ ٱلأُمُورِ}ال عمران-186-، وقال تعالى -: {وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مّنَ ٱلْخَوفْ وَٱلْجُوعِ وَنَقْـــصٍ مّـــنَ ٱلأَمَـــوَالِ وَٱلأنفُسِ وَٱلثَّمَرٰتِ وَبَشّرِ ٱلصَّـــٰبِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَا أَصَـــٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّـــا إِلَيْهِ رٰجِعونَ * أُولَـــٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوٰتٌ مّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـــٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ}البقرة-155-157-

عباد الله: ولقد كان من البلاء - بل من أشده - على الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم -؛ موت النبي - صلى الله عليه وسلم - قال الله - تعالى - في كتابه الكريم: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِينْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّـــهُ الشَّـــاكِرِينَ}ال عمـــران-144- وهذه الآية كانت إرهاصاً وإشارةً وتقدمةً لموت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فليستعد المســـلمون لاستقبال موت رسولهم وحبيبهم - صلى الله عليه وسلم -، ولكن منهم من وعى الآية وعقلها وحفظها، ومنهـــم من لم يكد يتصور أن نبيه سوف يموت - صلى الله عليه وسلم - مع توافر الآيات في هذا الباب كقوله - تعالى -: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ}الزمر-30-31-، وكقوله: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِينْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ}الانبياء-34-ومع ذلك لم يكد بعض الصحابة يتصور أن النبي - صـــلى الله عليه وسلم - سيموت، فقدم الله ذكر ذلك في غزوة أحد تمهيداً لوفاة رسول الله - صلى الله عليه وســـلم -، فليستعد المستعد، وليتأهب المتأهب قال الله - جل ذكره -: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّـــاكِرِينَ}، هـــذا شأنه: أنه بشر، لكنه رسول من عند الله {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} أي: مضت من قبله الرسل، رسول كشـــأن سائر المرسلين: إبراهيم، ونوح، وإخوانه من المرسلين، فهو ليس إلهاً، ولا ملكاً، ولا من حملة العرش، بـــل هـــو رسولٌ قد خلت من قبله الرسل، يموت كما يموتون، ويبتلى كما يبتلون, وهذه الآيات نزلت في غزوة أحد لمـــا تفشى في الناس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد قتل، عن البراء - رضي الله عنه - قال: "لقينـــا المشـــركين يومئذ، وأجلس النبي - صلى الله عليه وسلم - جيشاً من الرماة، وأمَّر عليهم عبد الله، وقـــال: ((لا تـــبرحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا)) فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل، رفعن عن سوقهن، قد بدت خلاخلهن، فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة، فقال عبد الله: عهد إليَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - أن لا تبرحوا، فأبوا، فلما أبوا صرفت وجوههم، فأصيب سبعون قتيلاً، وأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: ((لا تجيبوه))، فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: ((لا تجيبوه))، فقال:

أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله أبقى الله عليك ما يخزيك، قال أبو سفيان: اعل هبل، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((أجيبوه)) قالوا: ما نقول؟ قال: ((قولوا الله أعلى وأجل))، قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم, قال النبي - صلى الله عليه وسلم -:((أجيبوه))، قالوا: ما نقول؟ قال: ((قولوا الله مولانا، ولا مولى لكم))، قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال، وتجدون مثلة لم آمر بها، ولم تسؤني"البخاري وقد انتشر بين الناس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قتل، فحزن قومٌ لذلك أشد الحزن، وقال فريقٌ منهم: وما لنا في الحياة بعد موت نبينا - عليه الصلاة والسلام -؛ وتقدموا للقتال، وحزن آخرون واستكانوا، فعاتب ربنا الجميع فقال: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِينْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}, فلما مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك في الأجل الذي كتبه الله له وحدده؛ وأخبر عمر بموت الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يصدق، وذهب ينهر ويزجر من زعم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد مات، وقال: إنه سيرجع ويقطع أيدي رجالاً وأرجلهم، وأبى أن يقر بموت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، والناس من حوله يلتفون؛ فجاء أبو بكر - رضي الله عنه - فقال: أيها الرجل المتكلم على رسلك، فالتف الناس حول أبي بكر، وتركوا عمر - رضي الله عنهم جميعاً -، فقال: أيها الناس: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ثم تلا قوله: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِينْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}فلم يملك عمر نفسه، وعلم أن الأمر قد وقع.

فلا ينبغي أن تعلق عبادتك على موت شخص أو حياته أياً كان هذا الشخص، وأياً كانت منزلته وقدرهُ، فربك - تبارك وتعالى - حيٌ لا يموت، قريبٌ يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، يقترب منك ذراعاً إذا اقتربت منه شبراً، ويقترب منك باعاً إذا اقتربت منه ذراعاً، ويأتيك هرولة إذا أتيته تمشي، فكن على صلة بربك، وكن على ثقة به - سبحانه جل جلاله -، قال - تعالى -: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}ال عمران-145-، فلماذا الحزن والهم؟ ولماذا النكد والجبن؟ ولماذا الخوف؟ الأرزاق مقسومة، والآجال مقدرةٌ مضروبة {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ}محمد-31-

الخطبة الثانية:

إن المتأمل في واقع هذه الأمة وما وصلت إليه من الانحطاط، والذل والهوان، وتكالب الأعداء عليها من كل جانب؛ يدرك الخطر الذي تمر به بسبب بعد الأمة عن هدي ربها، وسنة نبيها - صلى الله عليه وسلم -، وتفريطها بذلك فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم))ابوداوود وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: "أقبل علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

فقال: ((يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين، وشدة المئونة، وجور السلطان عليهم, ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا, ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض مافي بأيديهم, وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله؛ إلا جعل الله بأسهم بينهم))ابن ماجه

ففي هذين الحديثين يتبين أنه لا مخرج لأمة الإسلام إلا بالتزامها بكتاب ربها، وسنة نبيها - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -, وما نراه يجري من ابتلاء على أراضي المسلمين من قتل وتشريد، وتدمير وتخريب, وتجويع وإرعاب, ينامون على أزيز الإنفجارات ويستيقظون عليه, بعضهم قد أهدم منزله عليه, وبعضهم لا مأوى له ولا فراش, يفترش الأرض، ويلتحف السماء, ما هذا كله إلا بسبب تخاذل المسلمين، وبعدهم عن منهج ربهم - تعالى -.

إن هذا الواقع المرير يجعل القلب ينفطر كمداً, ويجعل العين تبكي الدم لا الدمع, ومع ذلك نقول لإخواننا الذين أصابهم ذلك قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَـٰرَكُمْ﴾ محمد-31- , فهذه محنة ومنحة في الوقت نفسه، وذلك يرفع منزلتكم عند ربكم - تبارك وتعالى -، ويالها من كرامة عظيمة.

أو ما ترى أن المصائب جمة؟ وترى المنية للعباد بمرصدِ

من لم يُصب ممن ترى بمصيبةٍ؟ هذا سبيلٌ لست عنه بأوحدِ

فإذا ذكرت مصيبةً ومصابها فاذكر مصابك بالنبي محمدِ

أيها المسلمون : عليكم بكثرة الدعاء لإخوانكم, دعاء لهم بالصبر والثبات فإنهم يمرون ببلاء عظيم, وعليكم القيام بمواساتهم فذلك من الجهاد في سبيل الله.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين يا أرحم الراحمين، ويا رب العالمين, اللهم انصر من نصر الدين, واخذل من خذل المسلمين, امين